تفسير

سورة التكاثر[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ . تقول[٢] : ألهاني فلان عن كذا ؛ أي أنساني ، وشَغلني ، ولَهيتُ عنه ألهى لهيّاً ، ومنه الحديث : (أن ابن الزبير كان إذا سمع صوت الرعد لَهِيَ من حديثه[٣] ؛ أي تركه وأعرض عنه ، وكل شيء تركته فقد لهيت عنه)[٤] .

(١) مكيـة ، وحكى الإجماع على ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٨ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٩٨ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٦٨ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٥٠٧ ، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٨٧ . وقيل : إنها مدنية . انظر : فتح القدير ٥/ ٤٨٧ .

(٢) في (ع) : (يقال) .

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، وتتمته : قال : «سبحان مَن يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته» . انظر : الفائق ٣/ ٣٣٦ ، طبعة دار المعرفة ، وقد ورد في التفسير الكبير ٣٢/ ٧٥ .

(٤) ما بين القوسين منقول عن تهذيب اللغة (كثر) ٦/ ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، وهو من قول الليث ، وانظر : لسان العرب (كثر) ١٥/ ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

والتكاثر : التباهي بكثرة المال والعدد ، والتفاخر بكثرة المناقب ، يقال : تكاثر القوم تكاثراً ، إذا تعادوا ما لهم من كثرة المناقب .

وذكر في تفسير هذا قولان[1] :

أحدهما : أن المعنى شَغلكم (التكاثر)[2] بالأموال والأولاد عن طاعة الله .

٢. ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ ؛ أي حتى أدرككم الموت على تلك الحال[3] ، وهذا قول قتادة ، قال : «نزلت في اليهود ، قالوا : نحن أكثر من بني فلان ، وبنو فلان أكثر من بني فلان[4] ، ألهاكم ذلك عن الإيمان حتى ماتوا ضلالاً»[5] .

ثم يدخل في هذا كل مَن اشتغل بالتكاثر والتفاخر عن طاعة الله حتى يأتيه الموت وهو على ذلك . يدل على هذا ما روي أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية : ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ، ثم قال : «يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك من مالك إلَّا ما أكلت فأبليت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ؟»[6] .

---

(١) القول الثاني أورده عند تفسيره الآية ٢ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) قال بهذا المعنى أيضاً ابن عباس والحسن . انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٦٨ .

(٤) في (أ) و(ع) : (بنوا) .

(٥) ورد نحوه في تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٩٣ ، ولم يذكر أنها نزلت في اليهود ، وكذا في جامع البيان ٣٠/ ٢٨٣ مما ذكر عبدالرزاق ، والكشف والبيان ١٣/ ١٤٢ أ بمثله ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٢٠ ، وزاد المسير ٨/ ٣٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٦٨ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٠٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٨٢ ، والدر المنثور ٨/ ٦١٠ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وفتح القدير ٥/ ٤٨٨ ، وأسباب النزول ٤٠٠ ، تحقيق أيمن صالح .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الزهد ، باب (٥٣) ٤/ ٢٢٧٣ ح ٣ ، ولفظه كما هو عنده : «حدثنا قتادة عن مطرف عن أبيه ، قال : أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ في ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ، قال : «يقول ابن آدم : مالي مالي . (قال) : وهل لك يا ابن آدم من مالك إلَّا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، =

قال صاحب النظم في هذا القول : «(أي)[١] لا تزالون تتكاثرون ، وتتفاخرون إلى أن تموتوا»[٢] .

ويقال لَمن مات : زار رَمسه[٣] ، وزار قبره . قال جرير للأخطل :

زَارَ الـقُـبُــورَ أبــو[٤] مــالــكٍ فــأصبـــحَ ألأمَ زُوَّارِهـــا[٥]

فجعل زيارة القبور بالموت[٦] .

= أو تصدقــت فأمضيت» ، وأخرجه أحمد ٤/ ٢٤ ، ٢٦ ، وأخرجه الترمذي في ســننه في كتاب الزهد ، باب (٣) ٤/ ٥٧٢ ح ٢٣٤٢ ، وقال : «حديث حســن صحيح» ، وكتاب تفسير القرآن ، باب (٨٩) ٥/ ٤٤٧٠ ح ٢٣٥٤ ، والنســائي في كتاب الوصايا ، بــاب (١) ٦/ ٥٤٨ ح ٣٦١٥ ، وابن المبارك في الزهد ١٧٠ ح ٤٩٨ .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) الرَّمْس : التراب ، ورمس القبر : ما حثي عليه ، وقد رمســناه بالتراب ، والرَّمس : تراب تحمله الريح فترمــس به الآثار ؛ أي تعفوها ، والرياح الروامس ، وكل شيء نُثر عليه التراب فهو مرموس ، والقبر يسمى رَمْساً . انظر : تهذيب اللغة (رمس) ١٢/ ٤٢٣ .

(٤) في (أ) : (أبا) .

(٥) ورد البيــت في ديوانــه ٢٣٥ ، طبعــة دار بيروت ، برواية : (فــكان كألأم) ، وتهذيــب اللغة (كثر) ١٠/ ١٧٧ ، ولسان العرب (كثر) ٥/ ١٣٣ ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٧٧ ، وروح المعاني ٣٠/ ٢٢٤ .

(٦) تهذيب اللغة (كثر) ١٠/ ١٧٧ .

القـــول الثاني : إن هـــذه الآية نزلت في حيـــين من قريش ، وهمـــا (بنو)[١] عبد منـــاف[٢] ، وبنـــو ســـهم[٣] ، تفاخروا أيهم أكثـــر عدداً ، ففخـــرت[٤] بنو عبدمناف بني ســـهم بالمكارم والمســـاعي[٥] ، ثم ترقوا إلى ذكر الأموات[٦] حتى أتوا المقابر ، فعدوها فكثرتهم بنو[٧] ســـهم ، ؛ لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية . (وهذا قول الكلبي[٨] ، ومقاتل[٩] ، وابن عباس[١٠] في رواية عطاء)[١١] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) بنو عبد مناف : بطن من قريش من العدنانية ، وهم بنو عبدمناف بن قصي ، وكان قصي قد جعل لابنه عبدالدار في مقابلة شرف عبدمناف : الحجابة ، واللواء ، والندوة ، والرفادة ، والســـقاية ، فبقوا على ذلك إلى أن انتزع بنو عبدمناف منهم الســـقاية والرفادة في حلف أحليين ، واســـتقرت لبني عبدالدار الحجابة واللواء والندوة . انظر : نهاية الأرب للقلقشندي ٣١٢ .

(٣) بنو سهم : بطن من هصص من قريش من العدنانية ، وهم بنو عمرو بن هصص . انظر : نهاية الأرب ٢٧٤ .

(٤) في (أ) : (ففخرت) .

(٥) المســـاعي : العرب تسمي مآثر أهل الشرف والفضل مســـاعي ، واحدتها مسعاة ؛ لسعيهم فيها كأنها مكاسبهم وأعمالهم التي أعنوا فيها أنفسهم . انظر : لسان العرب (سعا) ١٤/ ٣٨٦ .

(٦) في (أ) : (الأسواف) .

(٧) في (أ) : (بنوا) .

(٨) ورد في أسباب النزول ٤٠٠ ، ولباب النقول ٢٣٤ بمعناه منسوباً إلى ابن أبي حاتم عن ابن بريدة ، وورد بمعناه أيضاً في بحر العلوم ٣/ ٥٠٦ ، والكشـــف والبيان ١٣/ ١٤٢أ ، والنكت والعيون ٦/ ٣٣١ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٢٠ ، وزاد المسير ٨/ ٣٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٦٨ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٠٧ ، وورد غير منسوب في معاني القرآن الفرَّاء ٣/ ٢٨٧ ، وجامع النقول لابن خليفة ٣٣٦ .

(٩) ورد في تفسير مقاتل ٢٤٩ب ، وانظر : المراجع السابقة عدا بحر العلوم .

(١٠) لم أعثر على مصدر لقوله .

(١١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وقال ابن بُرَيْدَةَ : «نزلت في فخذ من الأنصار ، تفاخروا بآبائهم ، فقالوا : هذا قبر فلان ، وهذا قبر فلان»[(١)] .

ومعنى ﴿ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴾ على هذا القول : حتى أتيتموها ، وذكرتم أهلها في مفاخرتكم ، ثم ردَّ الله عليهم ، فقال :

٣. ﴿ كَلَّا ﴾[(٢)] . قال أبو إسحاق : «هو ردع وتنبيه ، المعنى : ليس الأمر الذي ينبغي أن يكونوا عليه التكاثر ، والذي ينبغي أن يكونوا عليه طاعة الله والإيمان»[(٣)] .

وقال صاحب النظم : «أي (أن)[(٤)] هنا لا ينفع شيئاً ، أو ليس له طائل»[(٥)] .

ثم أوعدهم فقال : ﴿ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ .

٤. ثم وكَّد ذلك ، وكرَّر فقال : ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ .

قال الفـرَّاء : «الكلمة قـد تكررها عـلى التغليظ والتخويـف ، وهذا من ذلك»[(٦)] .

---

(١) ورد مختصراً في الكشف والبيان ١٣/ ١٤٢أ ، ونحوه قال ابن زيد كما في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٦٨ .

(٢) ﴿ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ [التكاثر :٣] .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٥٧ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٦) ورد في معاني القرآن ٣/ ٢٨٧ بنصه .

قال الحسن[١]، ومقاتل[٢]: «هو وعيد بعد وعيد».

والمعنى: سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت، ثم كلّا سوف تعلمون ذلك في القبر، وهذا قول مقاتل[٣]، وابن عباس[٤] في رواية عطاء، وعلى هذا ليس التكرير للتأكيد، والتكرير للحالتين، ومَن جعلهما[٥] للتأكيد لم يذكر الحالتين، ويقول: هو كقوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [عم: ٤-٥]، ودليل القول الثاني ما روى زر بن حبيش عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-[٦] قال: «كنّا نشكُّ في عذاب القبر، حتى نزلت هذه السورة»[٧].

يعني أن معنى قوله: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي في القبور.

٥. قوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾. هذا استئناف خبر وكلام آخر تقول: لو تعلمون[٨] الأمر علماً يقيناً. وإضافة العلم إلى اليقين كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، وقد مرَّ[٩].

---

(١) معالم التنزيل ٤/ ٥٢٠، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٨٣، وفتح القدير ٥/ ٤٨٨.

(٢) تفسير مقاتل ٢٤٩ب، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٢.

(٣) ورد بمعناه في تفسير مقاتل ٢٤٩ب.

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله.

(٥) في (أ): (جعله).

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٧) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن، باب (٨٩) ٥/ ٤٤٧، وقال: «هذا حديث غريب»، وأورده السيوطي في لباب النقول ٢٣٤ منسوباً إلى ابن جرير عن علي. انظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٨٤، والكشف والبيان ١٣/ ١٤٢ب، والتفسير الكبير ٣٢/ ٧٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٧٢، والدر المنثور ٨/ ٦١٠ منسوباً إلى حنيش بن أصرم في الاستقامة، وابن المنذر، وابن مردويه.

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٩) مما جاء في تفسير آية الواقعة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾: «قال الإمام الواحدي: ومعنى حق اليقين حق الأمر اليقين عند الأخفش، والبصريين، وعند الكوفيين هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه، وقال أبو إسحاق: هذا كما تقول: إن زيداً لعالم، وإنه للعالم حق العلم، إذا بالغت في التوكيد». انظر: البسيط ٥/ ١٩٣أ.

قال قتادة : «كنَّا نحدث أن علم اليقين : أن يعلم (أن)[١] الله باعثه بعد الموت»[٢] .

وقال عطاء : «لو تعلمون يوم القيامة علم اليقين»[٣] .

قال صاحب النظم : «اليقين -هاهنا- هو الموت أو البعث ؛ لأنهما إذا وقعا جاء اليقين ، وزال[٤] الشك» .

والمعنى على ما ذكروه[٥] : «لو تعلمون الأمر علماً يقيناً ، كما تعلمونه بعد الموت والبعث» .

وجواب (لو) محذوف على تقدير : لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر[٦] .

وتلخيص هذا المعنى ما ذكره أبو إسحاق : «لو علمتم[٧] الشيء حق علمه لارتدعتم عما أنتم عليه من التكاثر»[٨] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ورد مختصراً في تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٩٣ ، وجامع البيان ٣٠/ ٢٨٥ ، وورد بمعناه في الكشف والبيان ١٣/ ١٤٢ب ، والنكت والعيون ٦/ ٣٣١ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٢١ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٠٨ ، وفتح القدير ٥/ ٤٨٩ ، والدر المنثور ٨/ ٦١١ منسوباً إلى الفريابي ، وابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٤) في (أ) : (زوال) .

(٥) في (أ) : (ما ذكروا) .

(٦) انظر : الدر المصون ٦/ ٥٦٥ ، وقدر الكلام بقوله : «أي لفعلتم ما لا يوصف» ، وانظر : البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٥٣١ .

(٧) في (أ) : (علمه) .

(٨) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٥٧ بتصرف .

٦. ثم أوعدهم وعيداً آخرَ ، فقال : ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ .

وهذا على إضمار القسم .

(والمعنى : سترون الجحيم في الآخرة كقوله : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم :٧١] . وقراءة العامة بفتح التاء[١] .

وقد قُرئ بضمها[٢] ، من أريته الشيء . والمعنى : أنهم يحشرون إليها ، فيرونها في حشرهم إليها (فيرونها)[٣] . وهذه القراءة تروى عن ابن عامر ، والكسائي ،كأنهما أرادا[٤] لَتُرَوُنَّها ، فتَرَوْنها ، ولذلك قرأ الثانية : ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ بالفتح ، وفي هذه الثانية دليل على أنهم إذا أروها [رأوها][٥] ، وفي قراءة العامة الثانية تكرير للتأكيد ، والمعنى : لترون الجحيم بأبصاركم على البعد منكم .

٧. ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ ؛ أي مشاهدة ، وانتصب قوله : ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ انتصاب المصدر كما تقول : رأيته حقاً يقيناً ، وتبيَّنته يقيناً .

ومعنى هذه الرؤية : الرؤية التي هي مشاهدة)[٦] ، هذا كله كلام أبي علي الفارسي (وتفسيره)[٧] .

---

(١) السبعة في القراءات ٦٩٥ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٩٥ ، والمبسوط ٤١٦ ، والحجة ٦/ ٤٣٤ ، وحجة القراءات ٧٧١ ، والبدور الزاهرة ٣٤٥ .

(٢) السبعة في القراءات ٦٩٥ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٩٥ ، والمبسوط ٤١٦ ، والحجة ٦/ ٤٣٤ ، وحجة القراءات ٧٧١ ، والبدور الزاهرة ٣٤٥ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) في (أ) : (أرادوا) .

(٥) (أروها) في كلتا النسختين ، وأثبت ما جاء في مصدر القول .

(٦) ما بين القوسين منقول كما بيَّنه الإمام الواحدي عن الحجة ٦/ ٤٣٤ ، ٤٣٥ بتصرف .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

وقال الفرَّاء : «قراءة العامة أشبه بكلام العرب ؛ لأنه تغليظ ، فلا ينبغي أن يختلف لفظه»[١] .

وقال أبو علي : (والمعنى في ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ﴾ لترون عذاب الجحيم ، ألا ترى[٢] أن الجحيم يراها المؤمنون أيضاً ، بدلالة قوله : ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم :٧١] ، وإذا كان كذلك ، فالمعنى : والوعيد في رؤية عذابها لا في رؤيتها نفسها ، يدل على هذا قوله : ﴿ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ ﴾ [البقرة :١٦٥] ؛ (ذكر العذاب في هذه يدل على أن المعنى في الآخرة العذاب)[٣] أيضاً ، وبناء الفعل في قوله : ﴿ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ ﴾ ، وفي قوله : ﴿ وَإِذَا رَءَا[٤] ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ ﴾ [النحل :٨٥] للفاعل يدل على أن ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ﴾ ، أرجح (من لَتُرَوْنَّ[٥])[٦] ، انتهى كلامه .

٨. قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ . قال مقاتل : «يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة ، فيُسألون[٧] يوم القيامة عن شكرها ، وما كانوا فيه ، ولم يشكروا رب النعم ؛ فذلك قوله : ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ يوم القيامة»[٨] .

---

(١) ورد في معاني القرآن ٣/ ٢٨٨ بيسير من التصرف .
(٢) (ترا) في كلتا النسختين .
(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٤) في (أ) : (وإذ يرى) .
(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٦) ورد في الحجة ٦/ ٤٣٦ ، ٤٣٧ بيسير من التصرف .
(٧) في (أ) : (فسلون) .
(٨) تفسير مقاتل ٢٤٩ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٢١ .

وقال الكلبي : «الكفار مسؤولون(١) عن كل نعمة»(٢) .

قال(٣) : «وقال أبو بكر -رضي الله عنه- لمّا نزلت هذه الآية : يا رسول الله ، أرأيت أكلة أكلتها معك في بيت أبي الهيثم بن التَّيِّهان(٤) من خبز شعير ، ولحم ، وبسر(٥) قد ذنب(٦) ، وماء عذب ، أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذي نُسأل عنه ؟ فقال رسول الله ﷺ : «إنما ذلك للكفار» ، ثم قرأ : ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ(٧)﴾(٨) [سبأ :١٧]» .

---

(١) في (أ) : (يسلون) .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) أي الكلبي .

(٤) أبو الهيثم مالك بن التيهان ، واسمه مالك بن عتيك بن عمرو الأنصاري الأوسي ، شهد بدراً ، وكان من نقباء بيعة العقبة ، وشهد المشاهد كلها ، توفي سنة ٢٠هـ . انظر : الاستيعاب ٤/ ١٧٧٣ت ٣٢١٣ ، وأسد الغابة ٦/ ٣٢٣ت ٦٣٢٤ ، والإصابة ٧/ ٢٠٩ت ١١٨٨ .

(٥) البُسر : هو التمر قبل أن يرطب لفضاضته ، واحدته : بُسرة . انظر : لسان العرب (بسر) ٤/ ٥٨ .

(٦) ذنب : التذنوب ، وهو البُسر الذي قد بدأ فيه الأرطاب من قبل ذنبه ، وذنب البُسرة وغيرها من التمر مُؤَخَّرُها ، وذنبت البُسرة فهي مذنبة ، وكتَّت من قبل ذنبها . قال الأصمعي : «إذا بدت نُكت من الأرطاب في البُسر من قبل ذنبها قيل : قد ذنبت» . انظر : لسان العرب (ذنب) ١/ ٣٩٠ .

(٧) بياض في (ع) .

(٨) وردت الرواية بمعناها عن الكلبي في الدر المنثور ٨/ ٦١٨ منسوبة إلى ابن مرويه ، ووردت من طريق الكلبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس في بحر العلوم ٣/ ٥٠٧ ، ووردت من غير ذكر الطريق في التفسير الكبير ٣٢/ ٨١ . ولأبي بكر رواية خلاف رواية الكلبي من طريق أبي هريرة ذكرها الطبري في جامع البيان ٣٠/ ٢٨٧ وهي في صحيح مسلم في كتاب الأشربة ، باب (٢٠) ٣/ ١٦٠٩ ح ١٤٠ . والشاهد : عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة ، فإذا هو بأبي بكر وعمر ، فقال : «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟» ، قالا : الجوع يا رسول الله ، قال : «وأنا . . . لأخرجني الذي أخرجكما . . .» إذ جاء الأنصاري ، فنظر إلى رسول الله ﷺ ، فانطلق فجاءهم بعذق فيه بُسر وتمر ورطب ، فقال : كلوا من هذه . . . فذبح لهم ، فأكلوا من الشاة ، ومن ذلك العذق ، وشربوا ، فلمّا أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر في : «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة» . وأخرج الرواية أيضاً البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ١٤٤ ح ٤٦٠٢-٤٦٠٦ من طريق أبي هريرة وطرق أخرى .

والظاهر يشهد لهذا القول وهو : أن الكفار لم[١] يؤدوا حق النعمة حيث أشركوا به وعبدوا غيره ، واستحقوا أن يُسألوا عما أنعم عليهم توبيخاً لهم ؛ هل قاموا بالواجب فيه ، أم ضيَّعوا حق النعمة ؟ ثم يعذبون على ترك الشكر بتوحيد المنعم[٢] . وهذا معنى ما ذكره مقاتل ، وهو قول الحسن ، وقال : «لا يسأل عن النعيم إلَّا أهل النار»[٣] .

واختلفوا في معنى هذا النعيم .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : «الأمن ، والصحة»[٤] . وهو قول الشعبي[٥] ، وقتادة[٦] ، وسعيد بن جبير[٧] .

---

(١) في (أ) : (لو) .

(٢) قال القاضي عياض : «المراد : السؤال عن القيام بحق شكره ، والذي نعتقده أن السؤال هنا سؤال تعداد النعم ، وإعلام بالامتنان بها ، وإظهار الكرامة بإسباغها ؛ لا سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة ، والله أعلم» . انظر : شرح صحيح مسلم ١٣/ ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٣) ورد معنى قوله في زاد المسير ٨/ ٣٠٢ ، وقد وضَّحه ابن الجوزي فقال : «إنه أراد بذلك أنه خاص بالكفار» . انظر قوله أيضاً في : التفسير الكبير ٣٢/ ٨٠ ، وفتح القدير ٥/ ٤٨٩ ، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤٣٧ .

(٤) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢٨٥ ، وبحر العلوم ٣/ ٥٠٧ ، والنكت والعيون ٦/ ٣٣٢ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٢١ ، وزاد المسير ٨/ ٣٠٢ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٠٨ ، والدر المنثور ٨/ ٦١٢ منسوباً إلى هناد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والبيهقي في شعب الإيمان . وورد عنه مرفوعاً في الكشف والبيان ١٣/ ١٤٤أ ، وزاد المسير ٨/ ٣٠٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٨٤ .

(٥) ورد في زاد المسير ٣٠/ ٣٠٢ ، والبحر المحيط ٨/ ٥٠٨ ، وورد من طريق الشعبي عن ابن مسعود في جامع البيان ٣٠/ ٢٨٥ .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢٨٥ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٢٢ بمعناه ، وتفسير سعيد بن جبير ٣٨٠ .

وقال مجاهد : «كل لذة من لذات الدنيا»(١) .

وروى (معمر)(٢) عن قتادة قال : «إن الله -تعالى- سائل كل ذي نعمة عما أنعم عليه»(٣) . وعلى هذا ورد أكثر الأخبار .

قال محمود بن لبيد(٤) : «لمّا نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله ، أي نعيم نُسأل ؟ إنما هو الماء ، والتمر ، وسيوفنا على عواتقنا ، والعدو حاضر ، فعن أي نعيم نُسأل ؟ ، قال : «إن ذلك سيكون»(٥) .

---

(١) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢٨٥ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٤٥ب ، وزاد المسير ٨/ ٣٠٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٨٤ ، وفيه قال ابن كثير : «وهذا أشمل هذه الأقوال» ، والدر المنثور ٨/ ٦١٢ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢٨٩ ، وزاد المسير ٨/ ٣٠٢ بمعناه ، والدر المنثور ٨/ ٦١٢ منسوباً إلى عبدالرزاق ولم أجده عنده ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٤) محمود بن لبيد بن رافع بن امرئ القيس بن زيد الأنصاري الأشهلي من بني عبدالأشهل ، وُلد على عهد النبي ﷺ ، وحدَّث عنه أحاديث ، وكان أحد العلماء ، وروى عن ابن عباس ، وتوفي سنة ٩٦هـ . انظر : الاستيعاب ٣/ ١٣٧٨ت ٢٣٤٧ ، وأسد الغابة ٥/ ١١٧ت ٤٧٧٣ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٤٢٩ ، وقال الهيثمي ٧/ ١٤٢ : «رواه أحمد وفيه محمد بن عمر بن علقمة ، وحديثه حسن ، وفيه ضعف لسوء حفظه ، وبقية رجاله رجال الصحيح» ، وأخرجه الترمذي ٥/ ٤٤٨ ح ٣٣٥٦ ، ٣٣٥٧ من طريقين ؛ الأول : إلى الزبير بن العوام عن أبيه ، وحسن هذا الطريق . والثاني : إلى أبي هريرة ، وقال : «وحديث ابن عيينة عن محمد بن عمرو عندي أصح من هذا ، سفيان بن عيينة أحفظ ، وأصح حديثاً من أبي بكر بن عياش» . وورد أيضاً في جامع البيان ٣٠/ ٢٨٨ ، والكشف والبيان ١٣/ ١٤٤ب ، والتفسير الكبير ٣٢/ ٨١ ، والدر المنثور ٨/ ٦١٣ منسوباً إلى ابن أبي شيبة ، وهناد ، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ١٤٢ ح ٤٥٩٨ ، وفتح القدير ٥/ ٤٩٠ .

وروى (عطـاء)[١] عن ابن عبـاس أن عمر -رضي الله عنـه- قال : «وأي نعيم نُسـأل عنه يا رسـول الله ، وقد أُخرجنا من ديارنا وأموالنا ؟ فقال رسـول الله ﷺ[٢] : «ظلال المسـاكن ، وظلال الشـجر ، والأخبية[٣][٤] التي تقيكم من الحر ، والماء البارد في اليوم الحار ، والصحة»[٥] .

وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال : «أول ما يسـأل الله العبد يوم القيامة أن يقول له : ألم أصحَّ جسمك ، وأروك من الماء البارد ؟»[٦] .

وروى ابن عبـاس أن النبي ﷺ قال : «ما فـوق الإزار ، وجلف[٧] الخبز ، وظل الحائط ، وجرة الماء ، فضل يحاسب به ، ويسأل عنه العبد يوم القيامة»[٨] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ساقط من (أ) .

(٣) الخبـاء : من الأبنية واحـد الأخبية ، وهو ما كان من وبر أو صوف ، ولا يكون من شـعر ، وهو على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق ذلك فهو بيت . انظر : لسان العرب (خبأ) ١٤/ ٢٢٢ .

(٤) غير واضحة في (ع) .

(٥) التفسير الكبير ٣٢/ ٨١ .

(٦) أخرج الترمذي نحوه في السـنن في كتاب تفسـير القرآن ، بـاب (٨٩) ٥/ ٤٤٨ ح ٣٣٥٨ . قال أبو عيسى : «هذا حديث غريب» ، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول ٢/ ٤٣٥ : «وإسناده قوي» ، وصحَّحه ابن حبان كما في موارد الظمآن في كتاب البعث ، باب (١٠) ٦٤٠ ح ٢٥٨٥ ، وذكره السـيوطي في الدر المنثور ٨/ ٦١٣ ، ٦١٤ ، وزاد نسـبته إلى أحمد في زوائـد الزهد ، وعبد بن حميد ، وابـن جرير ، وابن مردويه ، والبيهقي في شـعب الإيـمان ٤/ ١٤٧ ح ٤٦٠٧ . وورد أيضاً في معالم التنزيل ٤/ ٥٢١ ، والتفسـير الكبير ٣٢/ ٨١ ، ولباب التأويـل ٤/ ٤٠٤ ، وفتح القدير ٥/ ٤٩٠ ، والدر المنثور ٨/ ٦١٣ ، ٦١٤ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن مردويه .

(٧) الجلف : الخبـز اليابس الغليظ بلا أُدم ولا لبن كالخشـب ، ويروى بفتح الـلام ، جمع جِلْفة ، وهي الكسرة من الخبز . انظر : لسان العرب (جلف) ٩/ ٣١ .

(٨) ورد في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٨٥ من طريق يزيد بن الأصم عن ابن عباس ، وفيه (جر الماء) بدلاً من (جرة الماء) ، والدر المنثور ٨/ ٦١٩ منسوباً إلى البزار .

وروى أبو قلابة أن النبي ﷺ قال في هذه الآية: «ناس من أُمتي يعقدون السمن والعسل بالنقي فيأكلونه»(١) .

ومَن قال بهذا القول، وهو أن كل أحد يُسأل عن النعيم، كان المعنى عنده: أن الكافر يُسأل توبيخاً ثم يُعذَّب لتركه الشكر كما ذكرنا، والمؤمن يُسأل عن ذلك إظهاراً للمنَّة عليه، وإذا كان قد قام بشكره فلا عتب عليه(٢)، فقد روي أن النبي ﷺ أكل هو ونفر من أصحابه تمراً، وشربوا عليه الماء، وقالوا: يا رسول الله، ما شكر هذا النعيم؟ قال: «تقولوا: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»(٣). والنعيم نقيض البؤس.

---

(١) ورد في الكشف والبيان ١٣/ ١٤٥أ من طريق يوسف ابن أخت ابن سيرين عن أبي قلابة مرفوعاً، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٨٤ موقوفاً، ورواية الموقوف وضَّحت المراد بالنفي. قال أبو قلابة: «من النعيم أكل السمن والعسل بالخبز النقي. والنقي المراد به النظيف من الشيء». انظر: لسان العرب (نقا) ١٥/ ٣٣٨، وفتح القدير ٥/ ٤٩٠، وقال: «هذا مرسل»، ونسبه إلى أحمد في الزهد، وابن مردويه.

(٢) قال الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٣١: «فإن قلت: ما النعيم الذي يُسأل عنه الإنسان، ويعاتَب عليه، فما من أحد إلَّا وله نعيم؟ قلت: هو نعيم مَن عكف همته على استيفاء اللذات، ولم يعش إلَّا ليأكل الطيب، ويلبس اللين، ويقطع أوقاته باللهو والطرب، لا يعبأ بالعلم والعمل، ولا يحمل نفسه مشاقها، فأمَّا مَن تمتع بنعمة الله وأرزاقه التي لم يخلقها إلَّا لعباده، وتقوَّى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل، وكان ناهضاً بالشكر، فهو من ذاك بمعزل».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء، باب (١٧) ٤/ ٢٠٨٥ ح ٦٤، وأبو داود في سننه في كتاب الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذا طعم ٢/ ٣٥٩، والرواية عنده من طريق أبي سعيد الخدري، ومن غير ذكر القصة.
وأخرجه أيضاً مالك في الموطأ في كتاب صفة النبي ﷺ، باب ما جاء في الطعام والشراب ٢/ ٧١٢ ح ٣٤، والإمام أحمد في المسند ١/ ١٥٣، ٥/ ٣٢، ٩٨، ١٥٣، ١٦٧، ٢٥٣، وابن ماجه في سننه في كتاب الأطعمة، باب (١٦) ٢٣٧٠٢ ح ٣٣٢٦، والترمذي في سننه في كتاب الدعوات، باب (١٦) ٥/ ٤٧٠ ح ٣٣٩٦.